

لماذا يتعامل الرئيس ترامب مع السعودية كما كيننة "صرف آلي" ويؤيد تحميلها مسؤولية إعادة اعمار سورية لأنها "دولة ثرية"؟

وهل تقبل بتنفيد هذه الإملاءات فوراً دون نقاش؟ وهل قرار الانسحاب الأمريكي من سورية فتنة جديدة لتوريط أردوغان وعرقلة التعافي السوري؟

عبد الباري عطوان

حتى كتابة هذه السطور لم يصدر أي رد فعل رسمي من المملكة العربية السعودية على "تغريدة" الرئيس الأمريكي دونالد ترامب المفاجئة والمهينة، التي قال فيها "أنها ستتكفل بالمبلغ المطلوب لإعادة إعمار سورية بدلاً من الولايات المتحدة"، وتساءل "أترون أليس من الجيد أن تقوم الدولة الفاحشة الثراء (السعودية) بمساعدة جيرانها في عملية إعادة الإعمار بدلاً من دولة عظمى؟ أمريكا تبعد 5000 ميل.. شكراً للسعودية"، نقول إننا "تغريدة مهينة"، لأنها توجي بأن الرئيس ترامب يتعاطى مع "حليفته" السعودية كما لو أنها ماكيننة صرف آلي موضوعة تحت تصرفه، يوجه إليها التعليمات وتقوم بتنفيذها دون أي اعتراض طالما يملك الأرقام السريّة.

الرئيس ترامب وقّع قبل يومين قراراً بسحب جميع قواته من شمال سورية (تعدادها 2200 جندي) وأوكل مهمّة التعاطي مع الأكراد، حلفاءه الذين تخلّص عنهم لحليفه الآخر الرئيس رجب طيّب أردوغان، في صفقة لا نعرف حتى الآن تفاصيلها، وقال له "إنها سورية كلها لك.. تصرف كيفما تشاء" وها هو يصع مسؤولية إعادة الإعمار على عاتق حليفه السعودي الآخر بتغريدة على حسابه على موقع التدوينات القصيرة "التويتتر" ورُبّما دون أي تنسيق أو حتى تبليغ مسبق، مثلما يمكن رصده من خلال ردود الفعل الصامتة.

السلامة أن الرئيس الأمريكي الذي وصّف الثراء السعودي بالفاحش، لم يطالب دوماً أحرى خليجية، مثل قطر والإمارات بمشاركة السعودية في تحميل هذا العيب، ولم يحدث أي مبالغ،

وهُنَاكَ تَقْدِيرَاتٍ أَوْلِيَّةٍ تُقَدِّرُ تَكَالِيفَ عَمَلِيَّةِ إِعَادَةِ الإِعْمَارِ هَذِهِ فِي حُدُودِ 300 إِلَى 400 مِليَارِ دُولَارٍ.

الإِدَارَاتُ الأَمْرِيكِيَّةُ هِيَ الَّتِي وَضَعَتْ مُخَطَّطَاتِ التَّدْخُلِ العَسْكَرِيِّ لِتَغْيِيرِ النِّظَامِ فِي سُورِيَةِ، وَوَزَّعَتْ الأَدْوَارَ، وَطَالَبَتْ حُلْفَاءَهَا العَرَبَ فِي الخَلِيجِ وَأُورُوبَا تَمْوِيلَهُ، وَتَسْلِيحَ جَمَاعَاتِ المُعَارَضَةِ المُسْلِمَةِ، وَتَسْهِيلَ تَدْفُوقِ المُتَطَوِّعِينَ إِلَيْهَا، وَاعْتَرَفَ الشَّيْخُ حَمْدُ بِنِ جَاسِمٍ، رَئِيسَ وِزْرَاءِ قَطْرِ الأَسْبَقِ، فِي أَكْثَرِ مَن مُقَابَلَةِ صَحَافِيَّةٍ، أَنَّ بِلَادَهُ لَمْ تُذْفِقْ دُولَارًا وَاحِدًا فِي سُورِيَةِ دُونَ التَّنْخِيسِ مَعَ وَاشِنْطُنِ وَوَكَالَاتِهَا الأَمْنِيَّةِ المُخْتَصِّمَةِ، (وَكَالَةِ المَخَابِرَاتِ المَرْكَزِيَّةِ الأَمْرِيكِيَّةِ (سِي آي إِيه)، وَيَطَّلِ السُّؤَالُ هُوَ عَنَ أَسْبَابِ تَمَلُّصِ إِدَارَةِ الرَّئِيسِ تَرَامْبِ مِنِ أَيِّ مَسْؤُولِيَّةٍ فِي عَمَلِيَّةِ إِعَادَةِ إِعْمَارِ مَا دَمَّرَتْهُ قُوَّاتُهَا وَمُخَابِرَاتُهَا وَمُخَطَّطَاتُهَا فِي سُورِيَةِ، وَإِلْقَاءِ هَذِهِ المَسْؤُولِيَّةِ عَلَى الطَّرَفِ السُّعُودِيِّ فَقَطٍ لِأَنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِثَرَاءٍ فَاحِشٍ، وَلِمَاذَا يَقْبَلُ هَذَا الطَّرَفُ بِهِذِهِ الإِمْلَاءَاتِ دُونَ أَيِّ نِقَاشٍ؟

الرَّئِيسُ تَرَامْبُ اعْتَرَفَ أَكْثَرَ مَن مَرَّةً أَنَّ بِلَادَهُ ضَخَّتْ حَوَالِيَّ 70 مِليَارِ دُولَارٍ فِي الحَرْبِ عَلَى سُورِيَةِ وَلَمْ تَجْنِ إِلَّا "الصِّفْرَ" فِي المُقَابَلِ، وَلَا نَعْتَقِدُ أَنَّهَا خَصَّصَتْ هَذَا المَبْلَغَ الصَّخْمَ جَدًّا، لِبِنَاءِ المُسْتَشْفِيَّاتِ وَالمَدَارِسِ وَالجَامِعَاتِ وَالمَسَاجِدِ وَالكُنَائِسِ، وَإِنَّمَا لِتَدْمِيرِ المُدُنِ البُنْيِ التَّحْتِيَّةِ، وَالتَّسْيُّبِ بِقَتْلِ مِئَاتِ الأَلْفِ مِنِ أبنَاءِ الشَّعْبِ السُّورِيِّ دُونَ أَيِّ رَحْمَةٍ أَوْ شَفَاقَةٍ. نَتَّفِقُ مَعَهُ فِي أَنَّ الوَلَايَاتِ المُتَّحِدَةَ تَبْعُدُ خَمْسَةَ أَلْفِ مِيلٍ عَنِ سُورِيَةِ، وَلَكِنَّمَا نَخْتَلِفُ مَعَهُ فِي اسْتِخْدَامِ هَذَا العُذْرِ لِلتَّهَرُّبِ مِنِ عَمَلِيَّةِ إِعَادَةِ الإِعْمَارِ، أَلَمْ تَكُنْ بِعِيدَةٍ أَيْضًا عِنْدَمَا جَاءَتْ بِقُوَّاتِهَا وَجُنُودِهَا لِتَدْمِيرِ سُورِيَةِ، أَمْ أَنَّ بَعْدَ المَسَافَةِ مُبْرَّرَ فِي حَالَةِ التَّدْمِيرِ، وَغَيْرِ مُبْرَّرَ فِي حَالَةِ إِعَادَةِ الإِعْمَارِ.

إِنَّ تَبَدُّلَ هَذَا الطَّرْحِ لَا يَعْزِمُنِي مُعَارَضَتِنَا لِمَبْدَأِ قِيَامِ المَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ بِتَوَلُّي مَسْؤُولِيَّتِهَا فِي المُشَارَكَةِ فِي عَمَلِيَّةِ إِعَادَةِ الإِعْمَارِ، فَذَنْ نَرَى أَنَّ هَذِهِ المُشَارَكَةَ مُلْزِمَةٌ لَهَا، قَانُونِيًّا وَأَخْلَاقِيًّا، لِأَنَّهَا لَعَرِيدَاتِ الدَّوْرِ الأَكْبَرِ فِي تَسْلِيحِ الجَمَاعَاتِ المُسْلِمَةِ، وَضَخَّتْ عَشْرَاتِ المِليَارَاتِ فِي هَذَا الصَّدَدِ، وَفَتَحَتْ مَقَرًّا لِقِيَادَةِ المُعَارَضَةِ السُّورِيَّةِ فِي العَاصِمَةِ الرِّيَاضِ (الهِئَةُ العَلِيَا لِلْمَفَاوِضَاتِ)، وَجَرَى تَمثِيلُ مَعْظَمِ الفَصَائِلِ المُسَلَّحَةِ فِيهَا، بِاسْتِثْنَاءِ "الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ" (دَاعِشُ)، وَنُضِيفَ بِأَنَّ دَوْلَةَ خَلِيجِيَّةً أُخْرَى مِثْلَ قَطْرِ وَالإِمَارَاتِ شَارَكَتُهَا فِي هَذَا الدَّعَمِ، وَالأُمُورُ نِسْبِيَّةٌ فَقَطٍ.

قَرَارُ الرَّئِيسِ تَرَامْبِ بِالانْسِحَابِ مِنِ سُورِيَةِ سِيَاسِيًّا وَعَسْكَرِيًّا وَبشَكْلِ مُفَاجِئٍ قَدْ يَكُونُ طَاهِرُهُ الاعْتِرَافُ بِالهِزِيمَةِ، وَمُحَاوَلَةُ تَقْلِيصِ الخَسَائِرِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا جِدَالَ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ أَيْضًا "قِنَاعٌ" لِمَشْرُوعِ فِتْنَةٍ جَدِيدٍ بوجْهِ آخَرِ، لِخَلْطِ الأُورَاقِ، وَتَوْرِيطِ تُرْكِيَا وَالسُّعُودِيَّةِ، كُُلِّ

مِنْهُمَا حَسَبَ دَوْرَهُ فِي مَخْطَطٍ جَدِيدٍ مَا زَالَتْ تَفَاصِيلُهُ سَرِيَّةً .

لَا نُرِيدُ التَّسْرُّعَ وَإِطْلَاقَ أَحْكَامِ سَابِقَةٍ لِأَوَانِهَا ، وَلَكِنْ هَذَا لَا يَعْنِي عَدَمَ التَّحْذِيرِ مِنْ هَذَا الْمَخْطَطِ الْأَمْرِيكِيِّ الَّذِي مِنْ أَبْرَزِ عَنَاوِينِهِ غَسَلُ الرَّئِيسِ تَرَامْبِ يَدَيْهِ مِنْ أَرْزَمَةِ كَانَتْ بِلَادَهُ أَوْ لِمَنْ بَذَرَ بُذُورَهَا وَرَعَاها عَلَى مَدَى السَّنَوَاتِ الثَّمَانِيَةِ الْمَاضِيَةِ ، وَيُرِيدُ الْآنَ تَجْيِيرَهَا إِلَى دَوْلِ عَرَبِيَّةٍ وَإِقْلِيمِيَّةٍ ، وَعَلَى رَأْسِهَا تَرْكِيَا وَالْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السَّعُودِيَّةُ ، وَتَكُونُ الضَّحِيَّةُ فِيهَا سُورِيَّةٌ وَوَحْدَتُهَا التُّرَابِيَّةُ مَرَّةً أُخْرَى .

نَعَمْ . . نُدْرِكُ جَيِّدًا أَنَّ سُورِيَّةَ انْتَمَرَتْ وَمَحَوَّرَهَا الْمُقَاوِمَ ، وَبَدَأَتْ تَتَعَاوَى مِنْ الْكَثِيرِ مِنْ أَدْرَانِ الْمَخْطَطِ الْأَمْرِيكِيِّ الْمُتَأَمِّرِ ، وَلَكِنَّا نَرَى أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يُحَاوِلُ اسْتِخْدَامَ "ذَرِيعة" الْإِعْمَارِ لِمُحَاوَلَةِ عَرْقَلَةِ هَذَا التَّعَاوِي ، وَهُوَ أَمْرٌ يَجِبُ الْحَذَرُ مِنْهُ وَشُرُوطُهُ ، وَلَا نَعْتَقِدُ أَنَّ الْقِيَادَةَ السُّورِيَّةَ الَّتِي أَدَارَتْ الْأَرْزَمَةَ بِاقْتِدَارٍ طَوَالِ السَّنَوَاتِ الْمَاضِيَةِ غَافِلَةٌ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَوْ هَكَذَا نَأْمَلُ . . وَإِنِّي أَعْلَمُ .